الأبعاد الاستراتيجية لتفاعل شبكات التواصل الاجتماعي مع مراسم تشييع الإمام الشهيد؛

الرواية العالمية لأكبر مراسم وداع في التاريخ

الوفاق/ تحوّلت مراسم وداع وتشييع الإمام الشهيد سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي(رض) إلى حدث غير مسبوق على المستوى العالمي، تجاوزت أصداؤه حدود إيران، وأصبح على منصة «إكس» أحد أبرز الموضوعات التي استقطبت اهتمام المستخدمين والصحفيين والفاعلين في المجال الإعلامي. وتكشف قراءة الروايات التي نُشرت على هذه المنصة أن تمثيل هذه المراسم لم يقتصر على نقل الأخبار أو إعداد التقارير، بل غدا ساحةً لتشكّل روايات متعددة حول إيران، والهُوية الدينية، والمقاومة، وثقافة الحداد، وحتى التنافسات السياسية والإعلامية.

ومن أبرز السمات التي اتسم بها التفاعل مع هذه المراسم، الحضور اللافت للصحفيين الأجانب الذين واكبوا الحدث من طهران. فعلى خلاف كثير من الأحداث السياسية التي تُنقل رواياتها غالبًا عبر البيانات أو التقارير الرسمية، أُنتج جانبٌ كبير من المحتوى المتعلق بهذه المراسم على أيدي صحفيين كانوا يغطون الحدث مباشرةً من موقع إقامته.

وقد أتاحت الصور ومقاطع الفيديو والروايات الميدانية التي نقلوها للجمهور العالمي الاطلاع المباشر على أجواء المراسم، وحجم الحشود، وحالة المشيعين، والأبعاد التنظيمية لهذا الحدث. ولذلك، استندت الرواية الإعلامية للمراسم إلى المشاهدة المباشرة والتصوير الميداني أكثر مما استندت إلى التحليلات المجردة.

اللافت أن كثيرًا من هؤلاء الصحفيين، بغض النظر عن توجهاتهم السياسية أو المؤسسات الإعلامية التي ينتمون إليها، وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الإشارة في تقاريرهم إلى ضخامة المراسم، واتساع الحضور الشعبي، وأبعادها الاجتماعية. فقد كانت الحقيقة الميدانية للحدث واضحة إلى درجة جعلتها عنصرًا مشتركًا في مختلف الروايات. وعلى الرغم من تباين القراءات والتحليلات، فإن اتساع نطاق المراسم، وكثافة الحشود، وأهميتها السياسية والاجتماعية، كانت قواسم مشتركة تكررت في معظم التغطيات. ويؤكد ذلك أن الوقائع الميدانية في الأحداث الكبرى قادرة على تقليص جانب مهم من التباينات في السرديات الإعلامية، وصياغة صورة مشتركة نسبيًا عن جوهر الحدث.

إلى جانب الصحفيين، كان للحضور الفاعل للشخصيات الإعلامية المستقلة، والصحفيين، وصنّاع المحتوى الدوليين أهمية خاصة. فلم يقتصر دور هذه الفئة على نقل الأخبار، بل سعت أيضًا إلى مشاركة الجمهور بانطباعاتها الشخصية عن أجواء المراسم. وفي كثير من الحالات، شكّل وصف مشاعر الحشود، والتأكيد على حسن تنظيم المراسم، والإشارة إلى الهتافات، أو تفسير رسائلها السياسية، جزءًا من رواياتهم. ويعكس ذلك أن عصر شبكات التواصل الاجتماعي قد أدى إلى تراجع الحدود الفاصلة بين الصحفي والمحلل، وصانع المحتوى، بحيث باتت الرواية الواحدة تجمع في الوقت نفسه بين العناصر الخبرية والتحليلية والشخصية.

من جهة أخرى، تُظهر مراجعة تفاعلات المستخدمين الناطقين باللغة الإنجليزية أن جانبًا مهمًا من صدى هذه المراسم اتخذ طابعًا وجدانيًا وهوياتيًا. فعلى خلاف الصحفيين الذين ركزوا في الغالب على وصف مجريات الحدث، انشغل المستخدمون بالتعبير عن مشاعرهم تجاه هذه الواقعة. وقد تكررت في كثير من منشوراتهم مفردات مثل: الحزن، والاحترام، والشهادة، والوفاء، والدعاء، والتعاطف، والمقاومة. ويؤكد هذا النمط أن شبكات التواصل الاجتماعي لم تعد مجرد وسيلة لنقل المعلومات، بل أصبحت أيضًا فضاءً لتشكيل المشاعر الجمعية وإبرازها.

ومن بين هذه التفاعلات، يبرز كذلك التنوع الجغرافي للمستخدمين، إذ صدرت منشورات من بلدان مختلفة في آسيا، وإفريقيا، وأوروبا، وأمريكا الشمالية، نظر كل منها إلى المراسم من زاوية مختلفة. فقد تناول بعض المستخدمين الحدث من منظور الهُوية الإسلامية، ورأى آخرون فيه رمزًا للمقاومة السياسية، بينما عمدت فئة أخرى إلى إدانة استشهاد قائد الثورة، منتقدةً في الوقت ذاته سياسات الحكومات الغربية. ويشير هذا التنوع إلى أن صدى الحدث الواحد على شبكات التواصل الاجتماعي يمكن أن يكتسب دلالات متعددة داخل المجتمعات المختلفة، تبعًا لخلفياتها الثقافية والسياسية والدينية.

من منظور الاتصال الاستراتيجي، كان من أبرز نتائج هذا الحضور الإعلامي انتقال مركز الثقل من الروايات الرسمية إلى التجارب المباشرة للمستخدمين والصحفيين. ففي السنوات الأخيرة، بات الجمهور العالمي يمنح ثقةً أكبر للروايات الميدانية والمحتوى الذي ينتجه الأشخاص الموجودون في موقع الحدث. وغالبًا ما تحقق الصور الحية، ومقاطع الفيديو غير المعدلة، والتقارير اللحظية، تأثيرًا يفوق ما تحققه التقارير الرسمية. ولم تكن مراسم تشييع القائد الشهيد استثناءً من هذه القاعدة، إذ تشكل جانبٌ كبير من صورتها العالمية من خلال هذه الروايات المباشرة.

كما يكشف تحليل المحتوى المنشور أن الصورة الغالبة لهذه المراسم على شبكة «إكس» لم تكن متمحورة، بالدرجة الأولى، حول الجوانب الأمنية أو السياسية، بل ارتكزت على حضور الناس والأجواء العامة للمراسم. فقد عرضت العديد من الصور المنشورة الحشود الكبيرة، والمسافات الطويلة لمسار التشييع، والمشيعين، وأجواء الحداد. وقد أدى ذلك إلى أن يتعرف الجمهور الخارجي، قبل كل شيء، على الأبعاد الاجتماعية لهذا الحدث، ثم يبدأ بعد ذلك في تشكيل رؤيته السياسية تجاهه.

ومن النقاط المهمة الأخرى، تزامن نوعين من الروايات في فضاء «إكس»؛ هما الرواية الواقعية والرواية العاطفية. فالرواية الواقعية تركز على ما يجري في الميدان؛ من حشود، ومراسم، وصور، وتقارير مباشرة. أما الرواية العاطفية فتقوم على انطباعات المستخدمين ومعتقداتهم ومشاعرهم. وعندما تجتمع هاتان الروايتان إلى جانب بعضهما، لا يعود الحدث مجرد خبرٍ عابر، بل يتحول إلى تجربة جماعية في الفضاء الرقمي، يشعر معها المتابعون بأنهم جزء منها. وهذه السمة تعد من أبرز الفوارق بين شبكات التواصل الاجتماعي ووسائل الإعلام التقليدية.

بشكل عام، أظهر صدى مراسم تشييع الإمام الشهيد على شبكة «إكس» أن شبكات التواصل الاجتماعي اليوم ليست مجرد أدوات لنشر الأخبار، بل أصبحت ساحةً لتنافس الروايات والمشاعر والتصورات السياسية والثقافية. فقد أسهمت روايات الصحفيين الأجانب، والحضور الفاعل لصناع المحتوى المستقلين، والتفاعلات الواسعة للمستخدمين الناطقين باللغة الإنجليزية، في تشكيل صورة متعددة الأبعاد لهذه المراسم؛ صورة أكدت الحضور الشعبي الواسع، وأبرزت في الوقت ذاته الأبعاد الدينية والعاطفية للحدث، كما عكست تداعياته السياسية على المستوى الدولي.

وفي النهاية، تُظهر تجربة هذا الحدث أن التأثير العالمي لأي واقعة في عصر وسائل التواصل الاجتماعي أصبح مرتبطًا، أكثر من أي وقت مضى، بجودة الرواية التي تُقدَّم عنها. فكلما كانت الروايات الميدانية والموثقة والمتنوعة أكثر حضورًا، ازدادت فرص تشكل صورة أوسع وأكثر شمولًا في الرأي العام العالمي. ومن هذا المنظور، يمكن اعتبار مراسم تشييع القائد الشهيد نموذجًا للتداخل بين الواقع الميداني، والرواية الإعلامية، ومشاركة المستخدمين في إنتاج المعنى؛ وهو تداخل يؤكد أن الرأي العام العالمي اليوم لا يتشكل فقط بواسطة وسائل الإعلام الرسمية، بل هو نتاج التفاعل المستمر بين الصحفيين، وصناع المحتوى، وملايين مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي.

كثيرًا من الصحفيين، بغض النظر عن توجهاتهم السياسية أو المؤسسات الإعلامية التي ينتمون إليها، وجدوا أنفسهم مضطرين إلى الإشارة في تقاريرهم إلى ضخامة المراسم، واتساع الحضور الشعبي، وأبعادها الاجتماعية

الخلاصة:

يكشف تحليل التغريدات المنشورة أن مراسم وداع وتشييع القائد الشهيد في الفضاء الناطق باللغة الإنجليزية على منصة «إكس» لم تُنقل بوصفها خبرًا فحسب، بل تحولت إلى مجموعة من الروايات الميدانية والتفاعلات العاطفية. فقد سعى الصحفيون والناشطون الإعلاميون الأجانب، من خلال توثيق صور المصلّى، ومسارات التشييع، والحضور الشعبي الواسع، إلى نقل الأبعاد الواقعية والميدانية للمراسم إلى الجمهور العالمي؛ في حين ركز المستخدمون الناطقون باللغة الإنجليزية، عبر رسائل قصيرة لكنها ذات دلالات عميقة، بصورة أكبر على مشاعر الحزن، وتقديم الاحترام، والتعاطف، والوفاء، والروابط الدينية والهوياتية.

ويُظهر اجتماع هذين المستويين من التفاعل أن هذه المراسم قدمت على منصة «إكس» صورتين متزامنتين أمام المتابعين: فمن جهة، أعادت تمثيل صورة ميدانية للحشود، ومراسم التشييع، والأجواء العامة في طهران وإيران؛ ومن جهة أخرى، شكلت صورة وجدانية عن الحداد، والتضامن، وتفاعل المستخدمين المتجاوز للحدود الجغرافية. ولهذا يمكن اعتبار صدى هذا الحدث بين المستخدمين الناطقين باللغة الإنجليزية تمثيلًا مركبًا يجمع بين الحضور الشعبي، والدلالات الدينية، والمشاعر العابرة للحدود.

المصدر: KHAMENEI.IR

«جدلية الإيمان والعمل» في المنظومة الفكرية للقائد الشهيد

ميثاقٌ للحياة الإيمانية

د. همايون همتي
أستاذ الأديان والعرفان بجامعة طهران

كثيرًا ما يقع الإنسان المعاصر في ثنائياتٍ مصطنعة، فيتعامل مع الإيمان والعمل بوصفهما مجالين منفصلين، في حين أن القائد الشهيد، سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي(رض)، كان يؤكد دائمًا على تلازمهما وترابطهما. تجسد رسالة الإمام الشهيد الموجزة في حجمها، العميقة في مضمونها، «التصور العام للفكر الإسلامي في القرآن»، هذه الرؤية بوضوح. فالرسالة، التي تمثل حصيلة الدروس التي ألقاها القائد الشهيد على جيل الشباب في السنوات السابقة لانتصار الثورة، تُعدّ نموذجًا متجددًا في تناول العلاقة بين الإيمان والعمل. ووفقًا لهذه الرؤية، يؤدي الإيمان دورًا مزدوجًا؛ فهو «يرسم معالم الحياة»، كما أنه «يولد العمل ويبعث عليه». ويسعى هذا المقال، من خلال قراءةٍ تحليلية لهذه الرسالة، إلى بيان الكيفية التي صاغ بها القائد الشهيد، انطلاقًا من الأركان الأربعة: الإيمان، والتوحيد، والنبوة، والولاية، منظومةً مفاهيميةً يُعرَّف في إطارها كل مؤمن بوصفه «فاعلًا مسؤولًا». قبل سنواتٍ من انتصار الثورة، كان القائد الشهيد يُلقي دروسًا ومحاضراتٍ للشباب، جُمعت لاحقًا في رسالةٍ قصيرة بعنوان «التصور العام للفكر الإسلامي في القرآن». وفي هذه الرسالة الموجزة والمكثفة، بدأ الإمام الشهيد حديثه عن الإيمان بلغةٍ رصينةٍ واضحة، وطرح التوحيد بوصفه رؤيةً كونيةً متكاملة، ثم تناول البعثة والنبوة، ليختتم مباحثه بالولاية، مقدّمًا الإسلام للمجتمع وللجيل الشاب باعتباره أيديولوجيةً حيةً ودينًا نابضًا بالحيوية والدينامية.

رؤيةٌ جديدة في الفكر الإسلامي

في كتب علم الكلام الإسلامي التقليدية، جرت العادة على البدء بما يُعرف بـ«الأمور العامة»؛ أي بالمباحث التي تتناول قضايا من قبيل: بداهة الوجود، وبساطة الوجود، والاشتراك المعنوي للوجود، وزيادة الوجود على الماهية، وأصالة الوجود، فضلًا عن مباحث امتناع إعادة المعدوم، والعِلّية، والوجوب والإمكان، والحدوث والقدم، والجواهر والأعراض، وما شابه ذلك من الموضوعات. ومن خلال هذه المباحث يُمهَّد الطريق للدخول إلى مباحث الإلهيات بالمعنى الأخص، في حين تُعرف هذه القضايا نفسها باسم الإلهيات بالمعنى الأعم.

وقبل الولوج إلى هذه الأمور العامة أو الإلهيات العامة، يعرض علماء الكلام عادةً مباحث تتعلق بوجوب شكر المنعم ولزوم دفع الضرر وجلب المنفعة، لإثبات ضرورة الخوض في معرفة الله والعقائد الدينية.

أمّا هذه الرسالة الموجزة للقائد الشهيد، فإنها تستقي معالم الفكر الإسلامي من القرآن الكريم نفسه؛ ولذلك فهي لا تتناول شيئًا من تلك المباحث التقليدية، الأمر الذي يجعل منها نموذجًا متجددًا ورؤيةً مبتكرةً لصياغة العقيدة الإسلامية على هدي القرآن الكريم.

الإيمان.. منطلق المسيرة الوجودية للإنسان

تبدأ هذه الرسالة بالحديث عن الإيمان، وهو منهج يقترب إلى حدٍّ كبير من الطروحات التي يقدمها علم الكلام الجديد أو اللاهوت الحديث في عصرنا. ففي علم الكلام المعاصر تنطلق المباحث أيضًا من حاجات الإنسان، ويُعدّ الإيمان من أبرز تلك الحاجات. فالإيمان حاجةٌ أصيلة، وميلٌ فطريٌّ راسخ في أعماق النفس الإنسانية، يدفع الإنسان إلى البحث عن معبودٍ حقيقي كامل الصفات. ومن هذا المنطلق، تقدم الرسالة موضوع بحثنا الإيمان بوصفه حقيقةً أصيلةً ومتجذرة، وحاجةً دائمة للإنسان، وتعدّه نقطة الانطلاق في مسيرته الوجودية، وفلسفة وجوده، والعامل الذي يهب الحياة معناها.

وجاء في أحد مقاطع هذه الرسالة: «الإيمان يعني التصديق، والقبول، والالتزام بما يحتاج إلى السعي والجد والاجتهاد من أجله وفي سبيله، وبالطريق الذي يوصله إلى تلك الغاية، وأخيرًا بنفس هذا السعي والحركة. ومن دون الإيمان، فإن كل حركةٍ وسعيٍ يظلان عُرضةً للزوال وعديمي الجدوى، ويغدو كل سائرٍ فاقدًا للحيوية، خامد الروح، ثم لا يلبث أن يخبو ويسكن ويفقد كل حركة..» ومن هذا الواقع تنبع عناية القرآن الكريم بمفهومي الإيمان والمؤمن، واعتباره هذه الخصلة من أسمى القيم وأرفع الصفات التي يتحلى بها الإنسان.

نقد الإيمان المنفصل عن العمل

يتحدّث الإمام الشهيد في هذه الرسالة عن إيمانٍ واعٍ، قائمٍ على الأصول والمباني العقدية، ومقرونٍ باتباعٍ بصيرٍ لرسول الله(ص)، مستندًا في ذلك إلى آياتٍ عديدة من القرآن الكريم. وهو لا يؤمن بإيمانٍ منفصلٍ عن العمل، عقيمٍ لا يثمر ولا ينتج، بل يرى أن قيمة الإيمان إنما تكمن في كونه «يرسم معالم الحياة» و«يولد العمل»؛ أي إنه إيمانٌ يقترن بالعمل والالتزام العملي.

ثم ينتقل إلى الحديث عن البشائر، وهو في الحقيقة حديثٌ عن آثار الإيمان وثمار التحلي به؛ من طمأنينة القلب، واستنارته، والبشائر الصادقة، وما يمنحه القرآن للمؤمنين من السكينة، والأمن، واليقين، والهداية الواضحة. وعلى الرغم من أن هذا المبحث عُرض بإيجازٍ شديد واختصارٍ مكثف، فإنه يقدم نموذجًا جديدًا ومتميزًا في تناول هذه القضية.

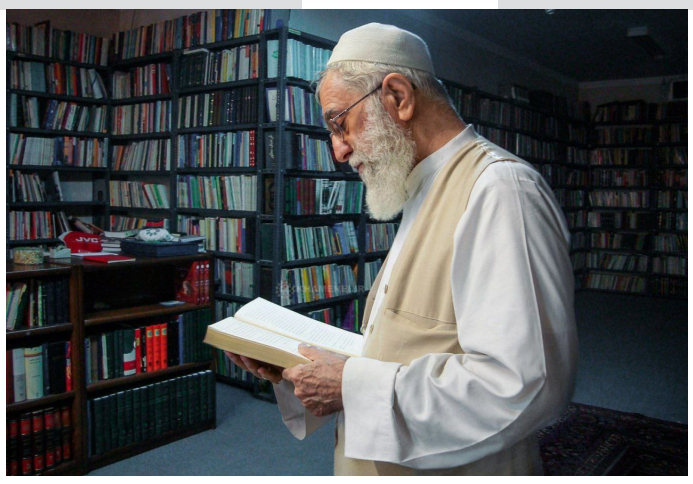

الإيمان القائم على الرؤية التوحيدية

يتناول الإمام الشهيد في هذه الرسالة موضوع التوحيد والرؤية التوحيدية للعالم بصورةٍ واسعة ومن زوايا متعددة. ويعرض الله سبحانه بوصفه القدرة العليا وخالق الكون وما فيه، والمتصف بجميع صفات الكمال، من علمٍ وقدرةٍ وإرادةٍ وحياةٍ وغيرها. كما يبين أن العالم بأسره، من الذرة إلى الأفلاك والمجرات والعوالم المجهولة، إنما هو خلقه وعبيده، خاضعٌ لسلطانه وقهره. فلا ولد له، ولا زوجة، ولا كفء ولا مثيل، وجميع الموجودات تقع ضمن دائرة عبوديته. وهذه هي قاعدة التوحيد التي يقوم عليها الكون، وهي الأساس الذي تنبني عليه جميع التصورات والبرامج والأفكار والأعمال وأنماط الحياة في الإسلام.

وقد عرض القرآن الكريم التوحيد بصيغٍ وتعابير متعددة، مؤكدًا أن الوجود بأسره، وفق الرؤية التوحيدية، مرتبطٌ بالقدرة المطلقة لله تعالى. فهو ليس خالق العالم والموجودات فحسب، بل له أيضًا السيطرة التكوينية على جميع الكائنات، كما أن حق التشريع وسنّ القوانين مختص به وحده، وجميع الخلائق ملزمة بطاعته والانقياد لأمره. وتقتضي هذه العبودية العامة لله أن لا يكون لأي مخلوقٍ حق الاستبداد أو التسلط أو فرض سلطانه على سائر عباد الله (نفي الطاغوت)، وأن يكون المتولي لشؤون حياة الناس ومدبر أمورهم هو من اختاره الله للحكم، سواء بالنص على شخصٍ بعينه، كالأئمة المعصومين(ع)، أو بوضع المعايير والضوابط التي تنطبق على الحاكم الإسلامي في عصر غيبة الإمام المعصوم(عج). وبهذا يكون الله سبحانه صاحب الألوهية الحصرية والربوبية الحصرية معًا.

وفي هذه الرسالة، يعدّ قائد الأمّة أن جوهر التوحيد يتمثل في نفي العبودية لغير الله، وهو تأكيد واضح على البُعد الاجتماعي والسياسي للتوحيد، وهو البُعد الذي نحن اليوم في أمسّ الحاجة إلى استحضاره. ومن ثمرات الإيمان بالتوحيد وآثاره رفض الظلم، ومناهضة التمييز، وإسقاط الأنظمة الطبقية الجائرة.

المستجيب لدعوة النبي

وفي فصلٍ آخر، يتناول الإمام الشهيد موضوع النبوة، وأهدافها، وبعثة الأنبياء. ويبحث، مستندًا إلى آياتٍ من القرآن الكريم، دعوة الأنبياء إلى الله والإيمان، وهداية المجتمع والناس، ومواجهة الفئات الظالمة والمعادية للمجتمع، التي يعبّر عنها القرآن بعناوين الطاغوت والملأ والمترفين والأحبار والرهبان.

فالأنبياء هم هداة المجتمع، يسعون إلى الارتقاء بمستوى الفكر الإنساني، وتهذيب النفوس، وإعداد الإنسان للقيام برسالته. ومَن يستجيب لدعوة النبي، ينبغي له أن يسلك الطريق نفسه الذي سلكه النبي، وأن يعينه في أداء المسؤولية التي حملها على عاتقه. ومن ثم، فإن فلسفة النبوة، وجوهرها، ومضمونها الحقيقي، يتمثل في قبول دعوة النبي، وقبول الالتزام الذي تفرضه هذه الدعوة، وهو التزامٌ حتمي لا مناص منه.

وهكذا، تتجلى في الرؤية الدينية، ومن خلال مبحث النبوة، قضية المسؤولية الاجتماعية والمسؤولية العامة، وهي من القضايا التي تحتل اليوم مكانةً بارزة في مباحث فلسفة الأخلاق والفلسفة السياسية.

التمايز الفكري والعملي عن العدو

في القسم الأخير من هذه الرسالة، يطرح قائد الأمّة مبحث الولاية، وهو من أكثر مباحث المعارف الإسلامية رسوخًا واتساعًا. فالولاية تتناول، من جهة، معاني المودة والاتباع، ومن جهة أخرى، القيادة وزعامة المجتمع. ومن مقتضيات الولاية رسم حدودٍ فاصلة مع الأعداء، واتخاذ موقفٍ فكري وعملي واضح تجاههم، والاصطفاف في مواجهتهم، وهو ما يعبر عنه القرآن الكريم أحيانًا بمفهومي الموالاة أو التولي.

كما تقتضي الولاية إقامة أمّةٍ ومجتمعٍ إيماني قوي، يحفظ وحدته وتماسكه، ويحول دون تغلغل الأعداء وإفسادهم. فالولي هو قائد المجتمع الإسلامي الذي يقوده، بإذن الله تعالى، نحو الأهداف والمقاصد الإلهية. ومن ثم، فإن الولاية ليست مجرد رابطة عاطفية، بل هي حقيقةٌ مضيئة هادية، وضرورة تضمن ثبات المجتمع وبقاءه ورقيّه.